

لماذا العلاج النفسي مهم؟

تعتبر حياة كل فرد قصة خاصة تحمل في طياتها العديد من الخبرات و الذكريات المختلفة، لكنها في ذات الحين ليست بفردية لأنها تكونت و تركبت عبر تلك التجارب المختلفة داخل الأسرة مع جماعة الرفاق و بالمدرسة... حيث سمحت بتكوين وإنتاج شبكة عنكبوتية الفرد وأفراد أسرته لهم دور مهم وحساس في تركيبها. العلاقة مع أفراد الأسرة أو الآخرين من المحيط مهما كانت نوعية استثمارها ومهما كان الموضوع الخاص بها فإنها تجعل الفرد أقل حرية من ما يعتقد في الكثير من الأحيان فالتقرب من تاريخ كل أسرة يسمح بشرح هذه الفكرة وملاحظة طبيعة العلاقة ومدى تأثيرها على التواصل والبناء النفسي الخاص بكل أفرادها.

علم النفس المرضي للأسرة هو أحد فروع علم النفس المرضي الذي يعمل على دراسة طبيعة التفاعل بين أفراد الأسرة والعواقب التي يمكن أن تثيرها هذه الأخيرة على الصحة النفسية لكل فرد وكذلك على نظام الأسرة ككل أخذا بعين الاعتبار الجوانب البيئية والعلائقية في تطور وصلابة الاضطرابات النفسية. هناك العديد من المناهج النظرية التي ساهمت في شرح التفاعلات داخل الأسرة من بينها نجد النهج النفسي وهو أحد الأساليب الأكثر استخدامًا لدراسة علم النفس المرضي للأسرة معتبرا الاضطرابات النفسية مرتبطة بديناميات التفاعل والتواصل بين أفراد الأسرة ما يجعل الأعراض في حد ذاتها استجابة تكيفية لحالة الأسرة ككل. يسعى هذا التوجه إلى الفهم المعقد للقواعد والمعايير والمعتقدات والتوقعات التي تحكم التفاعلات بين أفراد الأسرة والتي يمكن أن تؤثر على تطور الاضطرابات النفسية. التحليل النفسي هو أيضًا نهج شائع الاستخدام في علم النفس المرضي للأسرة حيث يعتبر الاضطرابات النفسية نتيجة للصراعات داخل النظام النفسي التي تطورت خلال حياة الفرد. يسعى التحليل النفسي في مقارنته للاضطرابات النفسية الأسرية لفهم العمليات اللاشعورية التي تكمن وراء ظهور الاضطرابات النفسية والتي يمكن أن تتأثر بتاريخ العائلة والعلاقات بين أفرادها. يركز من جهته النهج المعرفي السلوكي على فهم العمليات المعرفية المعقدة التي تساهم في تكوين الاضطرابات النفسية والحفاظ عليها معتبرا الاضطرابات النفسية كنتيجة لأنماط التفكير المختلة أو المعارف المشوهة التي تم تعلمها واكتسابها بمرور الوقت.

علم النفس المرضي للعائلة هو مجال دائم التطور مع تطورات فهم الاضطرابات النفسية وتناقل الصدمات النفسية بين الأجيال أو عبر الأجيال، و ظهور اضطرابات نفسية جديدة. تعتبر أعمال بوريس سيريلنيك حول المرونة وسيرج تيسيرون

عن التناقل النفسي وسلفادور مينوتشين عن العلاج الأسري من بين المساهمات المهمة في هذا المجال والتي سنتطرق لها لاحقاً.

من جهته العمل العلاجي الأسري أصبح يتركز حول اعطاء الفرصة لأفراد الأسرة الذين يعيشون هشاشة و معاناة نفسية أو سجناء تركيب أو احساس غير مباح به (سر) الفرصة لفك وتشفير كل الرسائل المعقدة والمثيرة للقلق حتى لا تبقى ذات طابع مرضيا قد يؤدي للانتكاس والصلابة. عليه من الاجدر فهم أن حياة كل فرد وخبرته مع الآخر تعبر عن أعماق شخصه ولا تأتي من العدم ما يجعله في حالة العلاقات المرضية يبحث عن مسار جديد حتى يتفادى ذلك الفخ الخاص بالإعادة المرضية عبر الأجيال. فهم الأسرة و علاقة أفرادها مهم جدا وذلك لأنه يفسح المجال للعمل على جعل ذلك الطفل أو الزوجين أو تلك الأسرة تصل لفهم تركيبها المرضي حتى لا يعيش أحدهم حياة الآخر و يصبح سجين حياة والديه أو أجداده أو مكان أحد إخوته المتوفين ما يجعله عبارة عن موضوع بديل لا يعيش تلك الحرية الفردية التي تسمح بتركيب سوي في العلاقة.

كل ما يخص الأسرة في هذه الحالة يصبح محور المقاربة العلاجية التي يجب أن يتبعها المعالج مع العلم أنه مجبر على أن يقوم بعمل شخصي حول نفسه و خبراته بغية الوصول الى نوع من المرونة النفسية التي تسمح له بالملاحظة الفعالة و الاصغاء الحسن لطبيعة التواصل و العلاقة ما بين أفراد الأسرة. العمل على فهم التجربة الخاصة و الوصول لحد التكيف و المصاعب الشخصية و الوعي بها هو محور مهم يجعل المعالج الأسري عند مقابلة طالب المساعدة متمكنا من الإصغاء لمشاكله و معاناته بطريقة سليمة ما يجعله يصل لحد إدراك مشاعره، ملاحظة سلوكه و قد يستطيع في بعض الأحيان عبر خبرته المهنية التنبؤ مسبقا بمحتوى القول الذي يكون في الكثير من الأحيان مشوها و من الصعب التعرف عليه أو البوح به من طرف العميل. فملاحظة طبيعة التواصل و التركيب الأسري في هذه الحالة جد مهم لأنه يسمح بفهم الشكل و التركيب المرضي للعلاقات الأسرية التي قد تكون ذات طابع رمزي وجداني من الصعب التعرف عليه مباشرة.